

وضع الفلسفة في الجزائر من منظور عبد الله شريط

The state of philosophy in Algeria from the perspective of
Abdallah Chrayet

كرام عبد الحكيم

المدرسة العليا للأساتذة - قسنطينة

Abdelhakim.kiram@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/08

تاريخ القبول: 2021/06/07

ملخص:

على الرغم من احتلال الفلسفة مكانة مرموقة في الأمم المتقدمة، إلا أنها في الجزائر تواجه عقبات واتهامات، تحدّ من حيوية نشاطها؛ إذ يذهب بعضهم إلى أن الفلسفة مضيعة للوقت، وأنها عديمة الجدوى بالمقارنة بالعلم والتكنولوجيا؛ وأنها غامضة، وأنها تؤدي إلى الزيغ والكفر بالله؛ ويهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على جهود المفكر الجزائري عبد الله شريط، التي بذلها في تحفيز النشاط الفلسفي، وتشخيص العوائق التي تحجب إشعاعه الثقفي والتعليمي. ومقارباته حول أساليب نشر الثقافة الفلسفية في المجتمع، مثل: التأليف الفلسفي المتأدب، وطريقة المحاورّة الفلسفية الميسرة، وأسلوب المحاضرة الفلسفية المبسطة.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الفلسفة، عوائق، تشخيص، أساليب إحياء.

Summary :

Although philosophy occupies a prestigious place in developed countries, in Algeria it comes up against obstacles, and accusations, which limit the vitality of its activity. For example, They say the philosophy is a waste of time, and that it is useless compared to science and technology, and that leads to aberration and disbelief in God. This article aims to shed light on the efforts of the Algerian thinker Abdallah Chrayet, of his efforts to revitalize philosophical activity, and to diagnose the obstacles that hinder his cultural and educational journey. And his approaches about the methods of spreading philosophical culture in society, such as: the literary

philosophical writing, and the method of facilitated philosophical dialogue, and the style of the simplified philosophical conference.

Keywords: Algeria; Philosophy; Obstacles; Diagnose; Revitalization methods.

كرام عبد الحكيم، الإيميل: abdelhakim.kiram@gmail.co

أولا. مقدمة:

يَعْرِفُ المشهد الفلسفي في الجزائر، وضعاً مأزوماً، نتيجة عقبات تعرقل مسار الفلسفة وتطوّرها، على رأسها ما يكال لها من اتهامات، مثل: أنها تتصف بالغموض، وأنها لغو لا طائل من ورائه، وأنها تؤدّي إلى الكفر بالله؛ وأنّ لم يعد لها مكان في عصر العلوم والتكنولوجيا. مما حدا بالمفكر الجزائري "عبد الله شريط" (1920 – 2010) إلى أن يدافع عن الفلسفة، ويسعى إلى تشخيص العوائق التي تعرقل مسارها، ويقدم البدائل لدفعها، والنهوض بها.

فأين تكمن أهمية الفلسفة في رأي المفكر "عبد الله شريط"؟

وما موقفه من التهم التي توجّه إليها؟

وما هي الأساليب التي يراها كفيلة بتحريك النشاط الفلسفي في الجزائر؟

وما هي انتقاداته لمضمون وطريقة تعليم الفلسفة في الجزائر؟ وما هي

البدائل التي يطرحها لها؟

وما موقفه من الفلسفة المتعالية، البعيدة عن واقع المجتمع الجزائري؟

ومنه يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على إسهامات المفكر، في

تشخيص واقع الفلسفة، ودفاعه عنها، والكشف عن الآراء التي تمخضت عن

رؤيته، في سبيل تفعيلها، وترقيتها في الجزائر.

ثانياً. أهمية الفلسفة:

ينظر "عبد الله شريط"، باعتباره مثقفاً عضواً، إلى الفلسفة لا من زاوية

ضيقة، كمادة أكاديمية أو تعليمية منحصرة داخل جدران المدرسة أو

الجامعة، أو مكاتب الباحثين والمفكرين فحسب، بل ينظر إليها من زاوية

أشمل باعتبارها أداة من أدوات التثقيف الجماهيري (*): الذي يعمل على تضمين النشاطات الثقافية، بمضامين فكرية مبسّطة، باللغة الوطنية التي يفهمها الشعب، ومن خلالها يتم معالجة قضايا بناء الوطن، وصعوباته والأخطار التي تهدّده، وحثّ أفراد المجتمع على السلوكيات الإيجابية، والتّخلص من العادات التي ورثوها عن الانحطاط، وعصر التدجيل والظلم والتجهيل والاستغلال(1).

ويتجه التثقيف الجماهيري اتّجاهين متوازيين، يعملان بشكل متكامل: الأول يخاطب المجتمع عامة بمختلف مستوياته التعليمية، بما فيهم أصحاب المستويات الدنيا من التعليم، أو ما يعرف بالطبقة الشعبية، والثاني يخاطب الطبقة المثقفة ثقافة وسطى، كالمعلمين والأطباء، والطلّبة. ويعتمد التثقيف الجماهيري عدة قنوات مثل: المحاضرة، والكتاب، والحصص الإذاعية، والقصة، والمسرح، والأغاني الهادفة؛ وعلى سبيل المثال يمتلك الفن الهادف، القدرة على أداء دور توعوي إذا ما تدوّقته الجماهير العريضة، عندما يتناول القضايا والمشكلات التي يزخر بها الواقع، متخذا منها موقفا فلسفيا نهضويّا، يعكس الواقع وينحون نحو المستقبل الأفضل(2).

وتكتسي الفلسفة في نظر "عبد الله شريط" أهمية خاصة، في توعية المجتمع الجزائري المتخلف، نظرا لما تقوم به من توضيح ونقد وتصحيح المفاهيم التي تستقر في أذهان فئاته وطبقاته، وإزالة ما يلحق بها من غموض، يصل إلى درجة من الضبابية، تجعل هذا المجتمع يتخبط في حالة من عدم الوضوح في توجّهاته، نتيجة إفراطه في الممارسة العملية، المفتقدة إلى الفكر والنظر، والتبصّر(3). حيث يقول: "إن أول عدوّ لنا اليوم كما كان في كل عصورنا هو تعطل فكرنا الفلسفي الباحث عن لماذا؟ وكيف؟"(4).

ويبرز "عبد الله شريط" وظيفة الفلسفة أنها: "تخلق الفكر الذي يحلّ مشاكل القرون والأجيال ويتمرّس على صعباب الحياة وينظّم المجتمع ويحدّد

العلاقات بين بني الوطن وبني الإنسان في جملة الأوطان" (5). فالفلسفة تولي عناية بالإنسان، وتعمّق في حياته، ممّا يجعل مشكلة الإنسان المتمدن تحتل المكانة المركزية في اهتمامات فلاسفة العصر الراهن، الذين ينكبون على بحث علاج لوضعه الخطير، الذي يدفعه إلى الأنانية والتوحش، ومستقبله القائم في ظل مجتمع الاستهلاك الذي أوجدته الآلة والكفاية المهنية (6).

كما تلعب الفلسفة دورا أساسيا في تطوير الأمم، حيث يقول: "ومن المفيد أن تعلّم أن أغنى بلاد بالفلاسفة هي ألمانيا (...) وهلاّ انتهت إلى أن أكثر البلدان تخلفا في عصرنا الحاضر هي التي لا تسمع بوجود فيلسوف عندها، وأن الأمة الواحدة إذا مرّت بعصر حضارة في تاريخها فإن ذلك العصر يكون حتما . مليئا بالفلاسفة" (7). نعم ليست الفلسفة هي التي تخلق العلم والتكنولوجيا والثروة، ولكن الحضارة المتشعبة بها هي الكفيلة بذلك، يقول: "الفلسفة يا صاحبي لا تحل المشاكل العاجلة، ولكن الحضارة المتشعبة بها هي التي تخطو الخطوات السريعة في الرقي" (8).

وهي إلى جانب ذلك تعدّ سلاحا معرفيا، يساعد المجتمعات على تجاوز الصراعات الفكرية، والاقتصادية، والسياسية في العالم، التي لها انعكاسها على كل المجتمعات، لاسيما المتخلفة منها، فمما يزيد في أهمية دراسة الفلسفة: "أننا نعيش اليوم في عالم تتصارع فيه الأفكار والمذاهب والفلسفات، كما تتصارع المزايدات الاقتصادية في العالم، وفي داخل كل مجتمع، ولا سبيل إلى النجاة في هذا الصراع إلا بالتسليح بسلاح المعرفة العلمية الواضحة التي لا سبيل فيها إلى التّمويه والخداع والتّدجيل" (9).

وتتجسّد مزايا الفلسفة، حسب "عبد الله شريط"، عن طريق التربية والتعليم، عندما يتم "تزويد متعلمينا بطريقة معينة وأسلوب معين في التفكير يعينهم على فهم حياة العصر ويقودهم في أعمالهم وما يجب أن يكون

لهم من المواقف في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى الثقافية والأخلاقية والفنية" (10).

فالفلسفة بهذا المعنى تساعد المتعلم، على النضج الفكري، والاقتصادي، والثقافي، والأخلاقي والذوقي، أي إعدادة إعدادا متكاملا لخوض غمار الحياة. إن المتمعن أيضا في الفلسفة، يجد أن جميع اتجاهاتها لا بد أن تكون لها انعكاسات عملية على حياة الناس، ولو لم يكن ذلك من قصدها، ويقدم "عبد الله شريط" أمثلة على تأثير مذاهب فلسفية مختلفة في حياة أهلها، يقول: "إن حياة الأمريكيين اليوم وما تمتاز به من خصائص عملية تطبيقية، هي وليدة مذهب فلسفي معروف يسمى "البراكمانية" أو المذهب العملي. والحياة عند الهنود اليوم وما تتميز به من فقر عند عامة الشعب، هي أيضا وليدة فلسفة قديمة عندهم قائمة على الزهد والتّقصّف واحتقار الحياة. وقل مثل ذلك عن الفلسفة الماركسية في روسيا وأوروبا الشرقية وما تتميز به من عناية بالطبقات الشعبية وبالجماهير، ومن ضغط على حرية الفرد. هذا الفرد نفسه الذي تقوم بتقديسه فلسفة الأمم الغربية التي تسمى بالديمقراطية" (11).

والفلسفة التي يدعو إليها "عبد الله شريط" هي فلسفة عملية، والغرض الذي تُقرأ أو تُدرّس من أجله، بالدرجة الأولى، غرض عملي، أي أنها ليست مسائل نظرية بحتة، تكتفي بإيقاظ الذهن وتربية الفكر، بل إن لها جانبها العملي، الذي يقتضي بأن لا يُعلّم إلا ما يقبل التطبيق، وما يُتعلّم يجب تطبيقه (12).

ثالثا. عوائق ذبوع الفلسفة في الجزائر:

هناك دعاوى عديدة تتردّد في المجتمع الجزائري، تستهدف الفلسفة، مشكّكة في قيمتها وجدواها، تشكل عوائق تحدّ من مزاولتها وانتشارها. تتمثل عند بعضهم في أنها مضيعة للوقت، بعيدة عن روح العصر؛ والبعض الآخر

من هذه الدعاوى يدور في وسط المنتمين إلى نخبة المثقفين، والمكلفين ببرامج التعليم، الذين يذهب بعضهم إلى القول بأفضلية العلوم الدقيقة والطبيعية على الفلسفة والأدب. هذا إلى جانب دعاوى ترددها شريحة كبيرة من المجتمع، في مقدمتها تلاميذ المدارس وأوليائهم، الذين يصفون الفلسفة بالمادة الصعبة، بل الصخرة التي تتحطم عليها آمالهم في دخول الجامعة، حيث يقع تلاميذ التعليم الثانوي، فريسة شحن من طرف الوعي الجمعي، أو الثقافة الشعبية عبر مجموعة من القيم والمعتقدات والرموز، بأحكام ومعايير جاهزة، تجعلهم يتهمون الفلسفة بأنها كلام فارغ، ومبعث للملل والنفور، مما يجعل هذه الأفكار المسبقة تعيقهم عن تعلمها(13).

هذه الدعاوى وما تحملها من أحكام وأوصاف، حركت المفكر "عبد الله شريط" وقدّم حججا لإبطالها، ويجدر قبل تناولها، التعرض أولا إلى الجذور التاريخية لتدهور الفلسفة في الجزائر، من وجهة نظره:

1. الخلفية التاريخية لتدهور وضع الفلسفة في الجزائر:

يعود تدهور وضع الفلسفة، وضيق أفق التفكير في الجزائر، إلى جذور تاريخية، ترتبط بتخلف المستوى الحضاري، الذي مازال المجتمع الجزائري يعاني منه، حتى اليوم. ذلك أن عصور الانحطاط ما تزال مستمرة عنده، في سلوكه ومفاهيمه للحياة(14). نظرا لما عرفه السند الحضاري خلال تلك العصور، من انقطاعات في بلاد المغرب، جعلت التخلف والانحطاط يسرع إليها، ويطول أمدّه فيها(15).

والسند الحضاري اصطلاح خلدوني، اعتمد عليه "عبد الله شريط" في تشخيص تداعيات عصور الانحطاط على الساحة الثقافية الجزائرية الراهنة. ويعني اتصال أو انقطاع السند الحضاري: تواصل الإنتاج الفكري واليدوي، أو انقطاعه؛ كما حدث في رقعة واسعة من الحضارة الإسلامية عند دخولها عصر الانحطاط (**): حيث يصف "ابن خلدون" (784 هـ. 808

هـ / 1332 م . 1406 م)، ما آل إليه النشاط العلمي والفكري في عصره بقوله: "قد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم" (16).

ويقصد "ابن خلدون" بسند العلم الحياة العقلية، فكلما اتصل السند الحضاري وتواصل الإنتاج الفكري واليدوي، أي التفنن في الصنائع وعلى رأسها العلوم العقلية، جيلا بعد جيل، ازدهرت الحضارة وأثمرت وتراكمت؛ وبينما تواصل السند الحضاري في المشرق العربي، نجد أن هذا التواصل في بلاد المغرب أصيب بانقطاعات فادحة.

ويُعلّل "عبد الله شريط" إهمال أبناء المغرب الإسلامي للعقل والجهد الفكري، إلى اختلاف المذهب الفقهي عندهم وهو مذهب أهل القياس، عن مذهب أهل الرأي عند المشاركة والأندلسيين، الأمر الذي أثر في اتساع أفق التفكير والتحليل والمناقشة والإبداع عند المشاركة والأندلسيين، وانحساره عند المغاربة (17)، ويعود هذا الاختلاف المذهبي بدوره إلى سبب تاريخي، يتمثل في أن "المستوى الحضاري الذي كان يربط بين المغاربة وبين أهل الحجاز، أقرب من ذلك الذي كان يربط بين المغاربة وبين مصر أو العراق، وهذا المستوى الحضاري المتدهور كان ناتجا عند المغاربة وأهل الحجاز معا عن ظاهرة البداوة، التي انعكست في قلة استعمال الرأي وضمور الشخصية الفكرية، وما ينشأ عن ذلك من الميل إلى التبعية وقلة الإقبال على مخاطر التحرر" (18).

ويستشهد "عبد الله شريط" في هذا المضممار بالمقارنات الواسعة التي يعقدها "ابن خلدون"، بين مستوى الأدباء والمؤلفين والفلاسفة وكثرتهم في المشرق، وبين قلتهم عددا، وهزال منزلتهم وفق إنتاجهم في المغرب الإسلامي، ويعزو "ابن خلدون" هذا التأخر إلى سوء مناهج التعليم وتأخر المستوى الثقافي والحضاري العام، في المجتمع المغربي نفسه وكساد سوقه؛ ثم يحلل

انعكاس هذا التّأخر التعليمي والثقافي على عقول المغاربة، وانتشار الفكر الخرافي وانعدام المنطق والمنهج العلمي في حياتهم، إلى حد أن "المثقفين" المغاربة كانوا يعتبرون المصريين والمشاركة من طينة بشرية جيّدة تختلف عن طينتهم الرديئة(19). ويبدل ابن خلدون مجهودا كبيرا لإقناع مواطنيه بأن أسباب تأخرهم الثقافي ليست ما ورائية أو ميتافيزيقية، وإنما هي أسباب حضارية، أي اجتماعية ودينية وسياسية معقدة(20). ومن انعكاسات إهمال أبناء المغرب الإسلامي للعقل والجهد الفكري، مظاهر تدني التعليم ومساوئه التعليمية والتربوية التي يسجلها ابن خلدون في عصره، منها على سبيل المثال: رداءة الخط الذي يؤدي إلى تشويه العلوم وصعوبة قراءتها وتلقينها ونقلها(21)، إلى جانب اعتماد الحفظ وعدم الرأي والتصرّف(22).

2. غموض الفلسفة وعدم جدواها:

من ضمن الاعتقادات المسيطرة على ذهنية كثير من أفراد المجتمع الجزائري، أن الفلسفة هي عمل من لا عمل له، أي أنها مضیعة للوقت لا جدوى من ورائها، إنها في نظرهم يقول "عبد الله شريط": "شيء لا يفهم أولا، (...) لأنها تحيّر العقل بدل أن تطمئننه، وأخيرا لأنه لا فائدة فيها عملية: كلها لغو وحشو وتلاعب بالألفاظ والأفكار، وأخذ ورد إلى غير نتيجة"(23). ويعترض على هذا الاتهام، بأن هذا المعنى السلبي للفلسفة الذي يعتنقه الكسولون، ويرون أن الفلسفة معناها "عمل من لا عمل له" ومعناها الخيال والبعيد عن الواقع والزهد في الحياة(24)، هو معنى يخالف المعنى الإيجابي لها، ذلك أن الفلسفة في رأيه قوة عقلية منظمّة تبحث مشاكل الحياة وتفسر ألغاز الكون وتنظّم علاقات المجتمع، وبالتالي ليست تنظيرا مجردا، يقتصر على المعرفة والبحث والدرس فقط، بل هي قوة عقلية منظمّة للجانب العملي، الذي يأمرنا بأن لا نتعلم إلا ما يقبل التطبيق، ولكن ما نتعلمه يجب أن نطبقه. فالمعرفة بدون تطبيق هو ما يسمى بالسلبية أو الخيال. والتطبيق عن جهل

هو ما يسعى "بالرؤيتين"، وكلا هذين المسلكين ليسا من عمل الفلسفة، ولا من أهدافها، التي تدعونا إلى تحكيم العقل والتجربة العلمية في شؤوننا جميعها، ونبذ الأحكام العاطفية والارتجال (25).

وعليه يناشد "عبد الله شريط" من يخوضون في الفلسفة أن يتمسكوا بالمنهج الواقعي، وتعني الواقعية في الفلسفة عنده "أولا الاهتمام بمشاغل الناس الفكرية المرتبطة بحياتهم الواقعية المعاشة، ومعناها ثانيا استكشاف المستقبل من خلال نبضات الحياة الراهنة، بطريقة تتجاوز الواقع، والفرق بين الاستكشاف والمستقبلية والوصفية الواقعية هو ما يكرس الخلود للأفكار الفلسفية" (26).

وفي هذا النص ما يرفع اللبس الذي يقع فيه كثيرون، ممن يظنون أن الفلسفة قد خلقت لتتناول المجردات والمثاليات، أو الماورائيات فقط، أو أنها مضیعة للوقت.

3. تكفير المشتغلين بالفلسفة:

تصدى "عبد الله شريط" إلى تهمة لا تقل خطورة عن الفرية السابقة، توجه إلى الفلسفة، تتمثل في رمي منتحليها بالكفر؛ حيث يرى أن هذا الحكم أصدره الغزالي وخطأه ابن رشد، والمعركة ما تزال إلى اليوم قائمة وستستمر (27). وفي نفس الاتجاه تذهب إحدى الباحثات، إلى أن كثيرا ما تلصق خاصيتا الكفر أو الإلحاد بمدرس الفلسفة في المدرسة الجزائرية على وجه الخصوص، فهو كافر أو ملحد لأنه يدرس الفلسفة التي هي ضد الدين (28).

ويُفند "عبد الله شريط" هذا الرأي الذي يتهم الفلسفة أنها كفر أو شبهة بالكفر أو موحية به، ويصفه أنه: "رأي من مخلفات عصور الانحطاط بقيت في أذهاننا عندما أصبح الفقهاء المسلمون ورجال الكنيسة المسيحيون في القرون الوسطى رُسل جهالة ودعاة ظلام، فألبوا رجال الدولة الجاهلين

والجماهير الشعبية المتعصبة على الفلاسفة فنفوهم وسجنوهم وأحرقوا كتبهم وعذبوهم من أجل أفكارهم وهم من خيرة الناس أخلاقا وأكرمهم طباعا"(29).

فمصدر تكفير المشتغلين بالفلسفة هو التعصب وضيق الأفق، الموروث لدى بعض الجزائريين منذ عصور الانحطاط، التي أهمل أبناء المغرب الإسلامي فيها العقل والجهد الفكري، كما سبق الذكر.

4. أفضلية العلوم الدّقيقة والطبيعية على الفلسفة:

من ضمن الآراء المثبّطة لتعليم الفلسفة وتدريسها، في الجزائر، الرأي الذي يذهب إلى الإغلاء من شأن العلوم الطبيعية، والدّقيقة والتكنولوجية على حساب الفلسفة، وهذا الموقف يدخل ضمن حملة تهوين تتعرض لها الفلسفة منذ ثمانينيات القرن العشرين، لا في الجزائر فحسب بل في العالم العربي والإسلامي، والعالم الثالث أيضا، حسب ما يذهب إليه "البخاري حمّانة"، بقوله: "تتعرض الفلسفة اليوم في العالم العربي والإسلامي بصورة خاصة، وفي العالم الثالث بصورة عامة، لحملة تهوين يقودها البعض ضدّها باسم الفاعلية العلمية والتكنولوجية تارة، وباسم عدم جدوى كل تأمل نظري تارة أخرى"(30).

كما تنطلق هذه الحملة من الظن بأن سرّ تطوّر الغرب تقدّمه في ميادين الطبيعة والتكنولوجيا فقط، يقول "عبد الله شريط": "وقد بلغ هذا الشعور الزائف عندنا في بلاد المغرب أن جعل أحد الكتاب المحترمين يتقدم إلى الشباب بهذه النصيحة: "أقلوا من العناية بالفلسفة والأدب، وأكثروا من العناية بالعلم والصناعة، إهتموا كل الاهتمام بالعلوم (...). فالعصر عصر العلم، والثقافة السائدة هي ثقافة علمية (...). والأدب والفلسفة من البضائع التي أصبحت قليلة القيمة في وقتنا الحاضر وستكون أقل قيمة في المستقبل"(31).

ويشخص "عبد الله شريط" هذه النزعة الجامحة إلى العلوم الطبيعية والتكنولوجية، في الجزائر على وجه الخصوص، أنها تكاد تصبح تعبر عن عقدة نفسية، أكثر منها اختياراً فكرياً مدروساً، مقدّماً مثلاً على ذلك حيث تسربت الرياضيات حتى إلى كلية الآداب، وأصبح شرطاً على دارس علم النفس أن يتحصل على نقطة عالية في الرياضيات، حتى ينال شهادة الليسانس (32).

ورغم سعي "عبد الله شريط" إلى ردّ الاعتبار إلى الفلسفة، من خلال مشاركاته منذ الاستقلال حتى الثمانينيات من القرن الماضي في لجان إصلاح التعليم، لكنه يعترف بأنه لم ينجح في ثني اندفاع أصحاب هذه النزعة إلى العلوم، على حساب الفلسفة، والعلوم الإنسانية، يقول: "وأذكر أنني ظلت أشارك في الاجتماعات التي لا تتوقف منذ فجر الاستقلال إلى اليوم (***) (...)" وكانت كل جهودي في هذه الاجتماعات مركزة على التحذير من خطر الاندفاع إلى العلوم التقنية على حساب العلوم الإنسانية، لكن يجب أن أعترف بأنني لم أنجح في الحد من هذا الاندفاع الذي يغمر زملائي الآخرين (33). وكان نتيجة هذا الاندفاع حسب "عبد الله شريط"، أننا في الجزائر نعد في مقدمة البلدان النامية من حيث النهضة الصناعية، ولكننا على التأكيد نعد في آخر القافلة من حيث الإنتاج الثقافي العام (34).

أما فيما يخص الاعتقاد بأن سرتقدم الغرب يعود إلى تقدمه في ميادين الطبيعة والتكنولوجيا فقط، يقول "عبد الله شريط": "من الخطأ الظن بأن نجاح الأمريكيان مثلاً قد تم على حساب ثقافتهم الأدبية والاجتماعية، ويكفي أن نلقي نظرة على بعض مؤلفاتهم في الميادين الاجتماعية لكي ندرك زيف نظرتنا في أن رقيهم قد تم بالعلوم الصناعية وحدها على حساب العلوم الإنسانية والاجتماعية" (35).

ذلك أن المعرفة من ثقافة وفكر، والمعرفة النقدية قبل كل شيء، التي تنبع من الفلسفة، هي التي تصنع الحضارة، فالحضارة لا تكمن في الصناعات والمكتشفات بل في الفلسفة التي تقف وراءها، وهي التي تحدد الفرق بين العالم المتقدم والعالم المتخلف، وهي التي تكبح جماح التقليد الأعى، يقول: " إنَّ الفرق بين العالم الثالث والعالم المتمدن يبدو للناس عادة في عدد السيارات وارتفاع العمارات، ولكن هذا المظهر المادي ليس إلا انعكاسا للفرق الحقيقي العميق المتمثل في عناية كل منهما بالفلسفة والثقافة والفكر"(36).

فليست المسألة مسألة تكديس كما يرى "عبد الله شريط"، متفقا في هذه النقطة كل الاتفاق، مع "مالك بن نبي"(37)، ولكنها مسألة وعي، ومن ثم فإن المجتمعات التي لا تمتلك فلاسفة على الإطلاق أو تعتبر الفلسفة معيقا في طريق التقدم كما هو الشأن في أكثر بلدان العالم الثالث، هي التي تتعثر أكثر من غيرها في السير، لأنها لا تملك المشعل المضيء، وتقضي وقتها في الدوران حول نفسها، وتسي ذلك سرعة في السير لأنها لا ترى المسافة التي قطعها أو بالأحرى التي لم تقطعها على الإطلاق. ويعني "عبد الله شريط" بالدوران حول النفس، عدم التمييز بين المشكلات الحقيقية في حياة المجتمع والمشكلات المزيفة، بين القضايا الأساسية والقضايا الثانوية(38).

وقبل التفكير في التلذذ بالثمار، والتمتع بالرفاه الذي يجنيه الإنسان من علوم المادة، لابد من التذكر أن العلم لم يتمكن من الوصول إلى نتائجه الملموسة، إلا بعد أن أنارت له الفلسفة الطريق، فلا بد من الانتباه دائما أن "الفلسفة هي المشعل الذي يضيء طريق المستقبل، و أن العلم ليس إلا الأداة أو المطية التي نركبها للسير في هذا الطريق بعد أن يضاء (***)"، ومن ثم كانت المجتمعات التي تمتن الفلسفة أكثر من غيرها، هي التي تسير أسرع من غيرها رغم بطء تقدم الفلسفة في ذاتها"(39)، ذلك أن الفلسفة مران عقلي، يساعد على البحث والتعليل، يقول: "لكي نجد السبب يجب أن يكون

لنا "عقل سببي" إن صح التعبير، أو عقل علمي ولو لم نكن علماء، وهذا الطراز من العقل هو الذي تكوّنه فينا الفلسفة، إن الفلسفة لا تأتيك بالخبز اليومي، ولكنها تكوّن فيك الفكر الحي الذي يجعلك تبحث وتعرف الأسباب وتكتشف المشاكل وتخترع علاجها فلا يصبح عندك الخبز مشكلة" (40).

يُفهم مما سبق أن لا تناقض بين الفلسفة والعلم بل هما متكاملان، فالفلسفة تمهّد للعلم، وتشد أزره، وتنير له الطريق؛ وتجارب الأمم المتقدمة خير دليل على ذلك.

5. صعوبة الفلسفة:

لم يقتصر الحكم على الفلسفة بأنها مادة صعبة من طرف التلاميذ أو أوليائهم، وأنها السبب في رسوب الكثيرين منهم في شهادة البكالوريا، وحسب، بل قد أسفر مسح شامل قامت به وزارة التربية الوطنية عام 1998، لوضعية قطاع التربية من 1962 إلى 1998، عن استنتاج أن أحد أسباب الفشل التي مّيت بها التلاميذ في الحصول على شهادة البكالوريا لسنة 1997، والتي بلغت نسبة النجاح فيها 26%، بالنسبة لمجموع الطور الثانوي، يعود إلى ضعف التلاميذ في اللغات والفلسفة (41).

ولا يتسع المجال هنا إلى التفسير أو الحكم على هذه النتيجة، التي أسفر عنها هذا المسح، أو غيره، فالشبهة حائمة، والتهمة قائمة، ومن المؤكد أن هناك أسبابا كثيرة لفشل التلاميذ في فهم الفلسفة، ويمكن أن يعود بعضها إلى معيقات تخص مادة الفلسفة، كنقص تكوين الأساتذة المتخرجين، وعدم تمكينهم . أو عدم رغبة بعضهم . في القيام بدورات تحديثية لمستوياتهم العلمية، سواء داخل الوطن أو خارجه، مع ضعف في قدرة التلميذ على التسلح بأدوات التحليل والنقد، وتضخم التقليد، وفوضى في المفاهيم لديه، وكثرة التلخيص، والاعتماد على الشروحات والمقتطفات الموجزة (42).

أما "عبد الله شريط" فيُرجع آفة صعوبة الفلسفة إلى سببين:

ما قام به ليس الفلاسفة أنفسهم بل شراح الفلسفة، الذين جاءوا ليُبسّطوها، وإذا هم يعقدونها بمصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، وبتعابير سمجة لا يتذوقها إلا ذو الصبر الطويل، وهم الذين ملئوها باللغو والحشو والتلاعب بالألفاظ والأخذ والرد إلى غير نتيجة(43).
كثرة مصطلحات الفلسفة، ومفرداتها اللغوية الخاصة(44).

رابعاً. الكتابة الفلسفية في الجزائر:

مستواها:

يُقرّ "عبد الله شريط" بتأخر الكتابة الفلسفية في الجزائر وبساطتها، حيث يقول: "ما كُتب إلى حد الآن شيء بسيط وسطحي ولم يتم بعد تعميقه، وتنقصه المنهجية الفلسفية"(45). وهذا لا يعني أنه ينقص من قيمة ما أنتجته أقلام الباحثين الجزائريين، بل العكس، فإنه ينصح بالاستمرار في الكتابة والترجمة، مع بساطتهما، ودليل ذلك قوله: "نحن في حاجة إلى القراءة وإلى الترجمة وإلى الإنتاج مهما كان بسيطاً، فوضعنا الفكري لا يبرر عدم القيام بأي شيء، بل بالعكس يجب أن نكتب، لأن الكتابة هي التي تصحّح أفكارنا"(46).

2. مقارنتها بالكتابة في العالم العربي:

يوضّح سبب تفوّق الكتابة الفلسفية في المشرق العربي نسبياً، بالمقارنة بالكتابة الفلسفية في الجزائر، بقوله: "في الثقافة هناك درجات، فإذا كان الفلكلور أدناها فإن الفلسفة أعلاها، وفي الجزائر بدأنا بالفلكلور ثم بالتعليم الابتدائي (...)، وأما الكتابة الفلسفية في العالم العربي فبدأت بالأدب وبالإصلاح الديني وبالتمهيد والتبسيط"(47).

ويلاحظ هنا تأكيداً على خطورة التراكم الثقافي الذي يقوم على الكتابة الأدبية العميقة خاصة، والذي شكل رصيда أوصل المشرق العربي إلى إنتاج

فلسفي أرقى نسبيا، مما هو عليه في الجزائر، التي لم تقطع بعد أشواطها في الإنتاج الأدبي كتلك التي قطعها المشرق؛ بل هناك من يخاصم الفلسفة والأدب في الجزائر، كما تمّ ذكره آنفا.

3. مستقبلها:

لا غرابة والحالة تلك، أن لا ينتظر "عبد الله شريط" ظهور فلاسفة في الجزائر، على المدى القريب، بل يرى أن الوصول إلى هذا المبتغى ما يزال بعيدا، يقول: "لا أتوقع أن يتكوّن هناك جيل من الفلاسفة قبل أربعين أو خمسين سنة" (48). ورغم اتساع البون بين وضع الفلسفة في الجزائر في الوقت الراهن، وبين ما يتوقعه بعد عقود، فإنه يرى أن مفتاح العناية بالفلسفة يكمن في العناية بجودة تعليمها، والاهتمام بأساتذتها، يقول: "يجب الاهتمام أولا بتدريس الفلسفة وأساتذة الفلسفة ثم سيكون هناك إنتاج فلسفي" (49).

خامسا. تيسير الفلسفة:

نظرا لشعور "عبد الله شريط". كمتقف عضوي . بمسؤولية تنشيط الفعل الفلسفي في الجزائر، مع مراعاة المستوى الثقافي العام، دعا إلى تبسيط الفلسفة، وجعلها في متناول الطلبة والمثقفين وأفراد المجتمع بصورة عامة، مبررا ذلك أن "الفلسفة في القديم وحتى في العصر الحديث وفي الأقطار الغربية بالخصوص تعتبر احتكارا للمثقفين فيها ثقافة واسعة. أما البسطاء من الناس فلا حق لهم في "التّعلي" إليها. في حين أصبحت في الأقطار الاشتراكية يستطيع أن يدرسها كل الناس الذين لهم إلمام خفيف بالثقافة العامة، ولا تصل درجة الاختصاص إلا في مستويات معينة" (50).

وسعيا منه في تذليل صعوبة الفلسفة، قام بجهود حثيثة، قدّم من خلالها عدة تجارب وآراء في سبيل تيسيرها، عمل من خلالها على توضيح المسائل الفلسفية، بتبسيط مواضيعها، وضبط حدودها، وجعلها مفهومة للمتلقّي، غير منقّرة له، بل جعله مقبلا على الخوض فيها(51). مستهدفا أكبر شريحة من المثقفين، يقول: "سنحاول أن ننزل بالفلسفة إلى مستوى المثقفين ثقافة متوسطة من ناحية، وألا نستعمل من المصطلحات الفلسفية إلا ما كان في متناول الجميع مع تفسيره بوضوح من ناحية ثانية"(52).

1. تأليف الكتب:

يلمس قارئ كتابات "عبد الله شريط" أسلوب البساطة والوضوح، مع المحافظة على الدقة في تناول المفاهيم، وهو في هذا التوجه من المعجبين بأسلوب الفيلسوف "وليام جيمس" الكتابي، الذي يمتاز حسب قوله بـ: "البساطة بل بالتبسيط المحبّب إلى النفس وبالوضوح الذي يبرهن على النضج وسعة المعرفة، وبالفكاهة التي تدل على نفس سمحة طليقة"(53). ويفصح عن نهجه الأسلوب السابق. رغم صعوبته. عند اضطراره بترجمة أحد الكتب، بقوله: "سأحاول ما استطعت أن أحافظ على ما في هذا الأسلوب من خفة وقوة وعمق، وهي خصال من النادر أن ينجح الكاتب في جمعها والمحافظة عليها مع ما يتطلبه الموضوع من طول النفس وسعة الاطلاع وإشراق التعبير والتبسيط الفلسفي العسير"(54).

وبالإضافة إلى توحيه في كتبه عامة، النزول بالفلسفة إلى مستوى المثقفين ثقافة متوسطة من ناحية، وعدم استعماله من المصطلحات الفلسفية إلا ما كان في متناولهم جميعا، مع تفسيرها لهم بوضوح، فإنه اعتمد كذلك طريقة حوارية في بعض كتبه، أقرب ما تكون إلى الطريقة الحوارية السقراطية(55)،

ومن أجل أن تنجح هذه الطريقة، يخاطب محاوره قائلا: "وأنا في ذلك سأعتمد على ما تلقيه علي أنت من أسئلة"(56).

وقد اعتمد هذه الطريقة الحوارية، في تحليل المفاهيم، وامتحان قوتها، في ذهن محاوريه، في العديد من كتبه خاصة "معركة المفاهيم" و"المنابع الفلسفية للفكر الاشتراكي"، حيث يخاطب محاوره متبعا لطريقة الأخذ والرد، وطرح الأسئلة ثم الإجابة عنها، في أسلوب وصفه "محمود قاسم" في تقديمه لكتاب "معركة المفاهيم" أن "عبد الله شريط" يعالج مسائل هذا الكتاب: "مستخدما أسلوبا تمتاز فيه الفلسفة بالأدب والجد بالتّهمك والسّخرية"(57) من جهة، ومن جهة ثانية من سمات أسلوب شريط أنه يعرض آراءه "على هيئة حوار محكم السّبك فلا يجد المرء من حيلة سوى أن يتابعه شغوبا على نهاية الحوار بينه وبين صديقه"(58).

والجدير بالذكر أن "عبد الله شريط" لم يكتب الكتب الفلسفية، المطعمة بالأسلوب الأدبي وحسب، بل أعاد كتابة القصّة الشعبية باللغة العربية الفصحى، بغية ربط قُرّاء الفلسفة في الجزائر بتراثهم الشعبي الأصيل، حيث قام بإصدار كتيب يضمّ ثلاث قصص من الأدب الشفهي الشعبي، في منطقة الشرق الجزائري، ذات أبعاد تربوية وفلسفية وخلقية، وغرضه من تأليفها: "رفع أدبنا العامي إلى لغتنا الفصيحة (...) وأن الأدب الشعبي (...) عندما يتوفر له عنصر القراءة بفضل نقله إلى الفصحى (...) يكتسب من لغة الثقافة أبعادا فكرية أوسع من التي كانت تحدّه باللغة العامية، ويتعمق إلى أغوار فلسفية أبعد من التي تقف به عند العواطف الإنسانية"(59).

2. الحصص الإذاعية والتلفزيونية:

اعتمد "عبد الله شريط" الطريقة الحوارية، في تحليل المفاهيم، وامتحان قوتها، في ذهن محاوريه، أيضا في البرنامج التثقيفي الإذاعي ثم التلفزيوني "الأخلاق والمجتمع"(***)، الذي استدعى فيه هذه الطريقة، ليخاطب

محاورة من جهة، ويخاطب المستمع أو المشاهد من جهة أخرى، متبعا طريقة الأخذ والرد المذكورة سابقا، ويذهب "عثمان شبوب" إلى أن "عبد الله شريط" كان يحب الحوار، حيث نشط في الإذاعة برنامج "الثقافة والمجتمع" وكان يرفض التفرقة ما بين السلوك والأخلاق، وأن تكون الثقافة في الميدان انطلاقا من المسجد والحزب، ويرى في السياسة بأنها تأطير للمجتمع والشعب، وأن الحداثة هي الأصالة والمعاصرة، حيث أنه يرفض ما يسمى بالغزو الثقافي، وعبد الله شريط بصفة عامة كان يتميز بالتمرد الفكري والعقلي" (60).

3. المحاضرات العامة:

لم يكتف "عبد الله شريط" بتوخي أسلوب التبسيط للأفكار الفلسفية العسيرة، من خلال تأليفه، وحلقاته الإذاعية والتلفزيونية، بل اعتمده أيضا في محاضراته العامة، ومن بين المحاضرات التي قام بها في عدة ملتقيات وجامعات وبعض الثكنات العسكرية، في وطنه الجزائر، محاضرة دُعي إلى إلقائها في قسنطينة، كان موضوعها ذا صلة بالفلسفة الاجتماعية، استفاد منها الحضور كثيرا، يقول: "عند الإلقاء حاولت قبل كل شيء أن أبسط للمستمعين معنى الفلسفة والمشاكل الفلسفية، كما لو كنت أعتمر عن الخوض في موضوع فلسفي أمام جمهور لم يتعود عليه، أو إن شئت كما لو كنت أحاول أن أجربهم على الإقبال على هذا النوع من المشاكل، وأن لا يتهيبوها، وضربت لهم أمثلة على جهود "وليام جيمس" في أمريكا، والمناضلين الماركسيين الذين بسّطوا المواضيع الفلسفية الاجتماعية لطوائف كثيرة من الطبقات الشعبية وكيف نجحوا في ذلك، وتبين أن جمهور المستمعين في

هذين البلدين، روسيا وأمريكا، يستجيب وينتفع إلى أقصى حد من هذه المواضيع(61).

لكنه لاحظ أنه عندما يتحدث مباشرة وبلغة تلقائية، أي بلغة مرتجلة، تتجه إليه الأنظار ويسود السكوت، ويغطي التتبع والاهتمام على القاعة الغاصّة بالحاضرين. وعندما يرجع إلى أوراقه ليقرأ منها نصّاً يستشهد به قراءة، سرعان ما يتلاشى الانتباه ويتراخي التتبع. وبعد محاولتين أو ثلاث، اختار التحدث بلغة تلقائية، دون الرجوع إلى أوراقه، لأنه شعر أن مستمعيه فهموا أفكاره أحسن وتجاوبوا معها بحماس أكثر(62).

4. المحاضرات الخاصة:

ويُقصد بالخاصة هنا، المحاضرة الموجهة إلى طلبة الفلسفة الجامعيين. ولم يتخلّى "عبد الله شريط" فيها عن تبسيط الأفكار الفلسفية، وتوصيلها بوضوح إلى طلبته في الجامعة، خلال تدريسه لهم مقاييس: كفلسفة الأخلاق، والفلسفة السياسية، والفلسفة اليونانية، حيث كثيراً ما كان يستطرد خلال محاضراته، ليعالج مع طلبته مواضيع تعمق فهمهم للفلسفة، دون أن يمنعه خوضه لدرس في الفلسفة اليونانية، من أن يستعرض أشعار المتنبي أو آراء "للجاحظ"، أو "حسن الزيات"، أو "طه حسين" أو "ابن خلدون"، ما يجعل الفلسفة قريبة المتناول بالنسبة للمتعلّم، وهذا ما شهد به أحد طلبته حين قال: "إنه [عبد الله شريط]" الأستاذ الذي أفهمنا الفلسفة وأفهمنا النظريات التي كنا نخافها ونخشها ونعتبرها غامضة وصعبة ومعقدة (...). كانت له طريقته الخاصة في إيصال هذه الأفكار"(63). فلم يكن "عبد الله شريط" يرى ضيراً من أن يزاوج بين الفلسفة والأدب، ذلك أن "الثقافة الفلسفية والمحتوى الإنساني أو المجتمعي للأدب مرتبطان" على حد قوله(64). وهذه الطريقة تساعد الطلبة على التعبير والتحرير، خاصة أن كثيراً منهم يعاني اليوم تعثراً في التعبير، وارتباكاً في التحرير(65)، فهذه التجربة جديدة

بالدراسة والاهتمام، وهي طريقة تبسّط الفلسفة، خاصة إذا حلّيت بالأدب العربي، مما يجعلها في متناول التلميذ أو الطالب، كما يجعلها عامل وصل بين المتعلم وبين ثقافته.

5. مضامين دروس الفلسفة:

عندما تأمل "عبد الله شريط" مضامين دروس الفلسفة في الجامعة الجزائرية، وجد أنها بعيدة عن واقع مجتمعها، تجعل طلبة الفلسفة غرباء عن واقع شعبيهم، ويوضح هذه المسألة بقوله: "في قسم الفلسفة، ندرّس مختلف أبواب الفلسفة، ونتطرق لما تتضمنه من أساطير عند اليونان أو قدماء الصينيين والهنود، ولا نبحت عقلية شعبنا وما خلفته فيه أحقاب التاريخ المتتالية من أساطير وعقائد باطلة وغير باطلة، ولا نبحت أساليبه في التربية والأخلاق والعلاقات الاجتماعية، ولا نحلل ما في ذهنه من تصورات دينية، وما في تقاليده الموروثة من رواسب مستحكمة، كأن هذا الشعب لا يعيننا حتى بقدر ما تعيننا حياة البدائيين في زيلاندة الجديدة أو البيرو. وهنا أيضاً نحن لا نفعل ذلك عن قصد، بل لأن هذه الميادين لم يطرقها الفرنسيون في الجامعة قبلنا ولم يهتم بها منهم إلا قلة من الاختصاصيين على نطاق فردي معزول(66).

وما يفهم من هذا القول أنّ هناك شبه قطيعة بين ما يدرّسه الطالب من مواد فلسفية في الجامعة، وبين مشكلات مجتمعه، التي يُهمّلها البرنامج الدراسي في الجامعة، إهمالاً يكاد يكون كلياً. وهذه الشقة كانت مطروحة بحدة في السنوات الأولى من استقلال الجزائر، ويحاول البرنامج الحالي التقليل منها بإدخاله مقياساً للفكر الجزائري.

وفي هذا المضمار يلقي "عبد الله شريط" باللائمة على المدرسين في الجامعة، لأنهم لا يجتهدون في تقديم ما يفيد طلابهم أو تزويدهم بمعلومات

وخبرات حول تراثهم، يقول: "المدرسين يبذلون (...) أقل من القليل في العناية ببحث تراثهم الوطني" (67).

ويلفت "عبد الله شريط" من خلال هذا القول، الاهتمام إلى خطورة ضعف المضمون الوطني في برامج الفلسفة في الجامعة، مما يعرض الطلبة إلى الاغتراب عن ثقافة مجتمعاتهم، خاصة وأنهم منغمرون في الغزو الثقافي الغربي.

وعلى الرغم من أن الجامعة الجزائرية قد حققت خطوات هامة في مسار تعريب البرامج، فإنها ما زالت تعاني من مشكلة التعريب، لهذا فإن الخطوات التي قامت بها الجزائر في تعريب العلوم الإنسانية، تبقى غير كافية ما لم تعرب المضامين، وهو ما دعا إليه "عبد الله شريط" منذ عقود، بقوله: "التعريب إذا اقتصر على اللغة وحدها، وبقيت المواد أجنبية غير عربية ولا جزائرية فإن هذا التعريب سيكون سطحيًا ولا يؤدي بثمرته تذكر. إن التعريب الصحيح هو تعريب المواد الدراسية والمضمون العلمي مع تعريب الأداة اللغوية التي تعبر عنه" (68). ومن ثم يرى أن على كلية الآداب أن تجعل في رأس قائمة موادها الدراسية في قسم الفلسفة، وقسم التاريخ وقسم اللغة، التراث الفكري والعقائدي الجزائري (69)، وعندما تحقق الجامعة هذا المطلوب: "لن يكون لدينا طلبة ولا أساتذة منحرفون يعيشون في جامعة الجزائر بوجودهم المادي، وفي عوالم أخرى بوجودهم العقلي والثقافي" (70).

وهذا يعني أن تلقين الطلبة الفلسفة دون ربطها بالمحتوى الاجتماعي، الذي يخدم واقعهم المعيش، سيجعلهم ينقلبون إلى سلبين اتجاهه، بل محطمين لا بانين له، مما سيسبب خسائر لا تقدر للوطن.

وعليه يجعل "عبد الله شريط" الفلسفة المتمسكة بأصالتها، على رأس المعارف التي تسهم في تعزيز المناعة الحضارية، وهذا يعني أن حضور المضامين الأجنبية، بشكل مكثف، في المناهج الفلسفية التعليمية،

والتثقيفية، وفقرها في الآن نفسه من المضامين الوطنية المستمدة من العمق الفلسفي الحضاري للجزائر، هو خطوة نحو التأخر، مهما كانت المسوغات والعناوين البراقة، التي يوسم بها ذلك الحضور الأحادي الجانب. سادسا. تعقيب:

لا يمكن المرء أن ينكر الدور الاستراتيجي الذي لعبته الأفكار الديمقراطية للقرن العشرين، في النزول بالثقافة من عليائها العاجية إلى أوساط الجماهير، وانتشار الكتاب الجيد بأعداد كبيرة، إلى جانب ازدهار التعليم العام. إلا أنه لا يمكن التسليم بشكل مطلق، أن ازدهار الفلسفة في الجزائر، لا بد أن يرتبط عضويا بالحفاظ على جماهيرية الثقافة وديمقراطيتها، على النحو الذي سار عليه "عبد الله شريط"؛ لأن وتيرة جماهيرية الثقافة لا تساعد بالضرورة على الإقلاع السريع لعجلة الثقافة، على الرغم من كل المميزات الجذرية التي تجنّبها الثقافة من الديمقراطية والجماهيرية. ذلك أن ديمقراطية الثقافة، كما يرى بعض الدارسين، تؤدي في المدى غير البعيد، إلى انخفاض في المستوى الثقافي والإبداعي ونزعة إلى التساهلية والوسطية والإغوائية البراقة، ونأي عن التعمق والتمحيص بحجة تجنب الصعوبة والإيهام.

ومما يؤسف له أن هذه الظواهر تتوازي توازيا شديدا مع اتجاه الصناعة الاستهلاكية بوجه عام، التي تفضي إلى التساهل والنمطية والنفعية المباشرة، نتيجة ضغط المنطق الخاص للسوق الاقتصادية وموازينها وقيمتها، التي تدفع التنمية الاقتصادية في شكل سلسلة هندسية متسارعة، تسبق سبقا صارخا النمو الثقافي، الذي يظل إيقاعه بطيئا، مما يجعل المجتمع يتجه نحو النزعة الاستهلاكية في الثقافة، وينتهي به المطاف إلى الانغماس في نمط العيش المنحط، أي الاستهلاكي المادي، كما يرى "أوزيريس سيكوني" (71).

سابعاً. الخاتمة:

على الرغم من مستوى الفلسفة غير المرضي في الجزائر، وتدني المستوى الثقافي بها، وسيطرة النزعة الاستهلاكية في المجتمع، فإن هذا الوضع أدعى إلى قيام المثقفين الجزائريين بالالتفاف أكثر حول الفلسفة، واتخاذها نظرة ناقدة ووسيلة لفهم أعمق بواقع مجتمعهم، ومفتاح الطريق إلى إصلاحه وتغييره، انطلاقاً من الإيمان بما يلي:

- أن الفلسفة تبني الفكر الناقد البناء، الذي يساعد على تطور المجتمعات، وتنظيمها.
- أنها الوسيلة التي تُخرج المجتمع من طور التفكير الخرافي والجهل، إلى طور التفكير العقلي والعلمي الواضح.
- أنها تساعد المجتمع في الحفاظ على هويته، ووجوده الثقافي، أمام الغزو الثقافي، الذي يحاصره.
- وبالتالي فإن المسؤولية تقع على عاتق المثقفين الجزائريين العضويين، كي يجدوا حلاً، يوازنون به بين طرفي معادلة تفعيل الفلسفة، حتى يجعلوها أداة لتغيير مجتمعهم وتحريره من عوائقه الثقافية، وذلك بأن يُخرجوا الفلسفة من دوائر نقاشاتهم الضيقة، وأن ينزلوها من تعاليها وترفعها، ويسهموا في نشرها وتبسيطها، من جهة، مع المحافظة على بحوثها الأكاديمية المعمقة، من جهة ثانية.

الهوامش:

(*) الأفكار الاشتراكية هي التي أسست مفهومات جماهيرية الثقافة، وربطت ربطا محكما بين وظيفية الثقافة وجماهيريتها. وتفرق هذه الأفكار تفريقا واضحا بين الثقافة البرجوازية المترفعة، وبين الثقافة الاجتماعية الوظيفية، التي تنطلق من موقف الانحياز لنضال الطبقات المسحوقة، وتخطب أوسع قطاع من الجماهير، وتتفاعل مع مصالحها وتتجاوب مع آمالها وآلامها، وتراعي منطقها ولغتها من خلال شعارات مثل: (الثقافة للجميع، للشعب، الثقافة من أجل الحياة الخ...). [حسام الخطيب: الثقافة والإبداع من زاوية البعد الجماهيري، مج 10، عدد 18، المجلة العربية للثقافة . تونس 1990، ص143]، ولم يصل التثقيف الجماهيري، في الجزائر إلى هذا الحد من الانتشار والعمق، نظرا لتعثر الثورة الثقافية التي عازمت الجزائر القيام بها، بعد استرجاعها استقلالها. [أنظر، محمد العربي الزبيري: الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982، مجلة: الرؤيا، يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد 3، شتاء 1983، ص16].

- (1). عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الايديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986، ص 240.
- (2). عزيز: حنا داود: التربية النضالية ضرورة للشعب العربي، سلسلة التربية المعاصرة، العدد 10، يونيو 1988، تصدر عن رابطة التربية الحديثة، القاهرة، ص ص 43-44.
- (3). عبد الله شريط: الحقيقة والزيف في مجتمعنا العربي، مجلة الأصالة، العدد 8، ماي- جوان، 1972، الجزائر، ص 191.
- (4). عبد الله شريط: المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1981، ص 172.
- (5). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981، ص 290.
- (6). عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص ص 8-9.
- (7). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص ص 290-291.
- (8). المصدر نفسه، والصفحتين نفسيهما ص ص 290-291.
- (9). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د س، ص ص 10-11.
- (10). المصدر نفسه، ص 10.
- (11). المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (12). المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (13). آمال موهوب: تدريس الفلسفة في الجزائر أمام التحديات المعاصرة، مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد 9، ديسمبر 2015، الجزائر، ص ص 4-5.
- (14). عبد الله شريط. معركة المفاهيم، ص 184.

- (15). عبد الله شريط: مشاكلنا التربوية وكيف يعالجها ابن خلدون، مجلة الأصالة، العدد 5، نوفمبر 1972، الجزائر، ص 16.
- (**). يُقسّم هذا العهد من الوجهة السياسية إلى قسمين: أولهما الطور المغولي (606 هـ . 996 هـ / 1258-1516م) الذي يبدأ بسقوط بغداد في حوزة هولاكو، وينتهي باستيلاء سليم الفاتح على الشام ومصر؛ وثانيهما الطور العثماني (922هـ -1213هـ / 1516 – 1798م) الذي ينتهي بحملة نابليون على مصر. [حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1986، ص 1024].
- (16). ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط 7، 2014، ج 3، ص 932.
- (17). عبد الله شريط: مشاكلنا التربوية وكيف يعالجها ابن خلدون، ص 17.
- (18). المصدر نفسه، ص 18.
- (19). عبد الله شريط: نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 87.
- (20). المصدر نفسه، ص ص 87 - 88.
- (21). عبد الله شريط: مشاكلنا التربوية وكيف يعالجها ابن خلدون، ص 15.
- (22). المصدر نفسه، ص 20.
- (23). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 289.
- (24). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، ص 11.
- (25). المصدر نفسه، ص 13.
- (26). عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص 5.
- (27). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص ص 289 - 290.
- (28). آمال موهوب: تدريس الفلسفة في الجزائر أمام التحديات المعاصرة، ص 5.
- (29). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 290.
- (30). البخاري حمادة: دفاعا عن الفلسفة، مجلة الثقافة، العدد 94، يوليو . أغسطس 1986، الجزائر، ص 141.
- (31). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 157.
- (32). المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (***). أي سنة 1981 تاريخ طبع كتابه معركة المفاهيم، الذي وردت فيه هذه العبارة.
- (33). المصدر نفسه، ص ص 157 - 158.
- (34). المصدر نفسه، ص 159.
- (35). المصدر نفسه، ص 158.
- (36). عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص 8.

- (37). انظر، مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، د ط، 1986. ص ص 43 - 44.
- (38). عبد الله شريط: المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، ص 10.
- (***) لعل المفكر يشير هنا إلى بحوث الفيلسوف فرنسيس بيكون، صاحب «الأورجانون الجديد»، التي وإن لم يتوصل من خلالها إلى اكتشاف علمي جديد، إلا أنها قدمت للعلم الطبيعي التجريبي أعظم دعاية يمكن القيام بها، وشجع بتلك الدعاية العلماء الإنجليز فيما بعد، على اتخاذ التجربة عمادا لبحوثهم [أنظر، نجيب بلدي: ديكارت، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 2، 1968 ص 17].
- (39). عبد الله شريط: المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، ص 9.
- (40). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 293.
- (41). بوفلجة غياث: التربية والتكوين بالجزائر، مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، الكتاب الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران. الجزائر، ط 1، 2002، ص 61.
- (42). آمال موهوب: تدريس الفلسفة في الجزائر أمام التحديات المعاصرة، ص 6.
- (43). المصدر نفسه، ص 290.
- (44). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، ص 9.
- (45). زواوي بغورة: حوار مع المفكر الجزائري الدكتور عبد الله شريط في السياسة والتاريخ والفلسفة، مجلة الحوار الفكري، العدد 2، ديسمبر 2001، جامعة قسنطينة. الجزائر. ص ص 21 - 22.
- (46). المرجع نفسه، والصفحتين نفسيهما.
- (47). المرجع نفسه، والصفحتين نفسيهما.
- (48). المرجع نفسه ص 21.
- (49). المرجع نفسه ص 23.
- (50). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، ص 9.
- (51). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 290.
- (52). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، ص 10.
- (53). عبد الله شريط: من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981، ص 117.
- (54). عبد الله شريط: أخلاقيات غربية في الجزائر، (مترجم بتصرف، عن كتاب "مذكرات الماجور طومسون"، للكاتب الفرنسي "بيار دانيونوس" (Pierre Daninos))، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د س، ص 10.
- (55). أحمد منور: شهادة في حق المحتفى به، (مجموعة من الأساتذة)، الأستاذ عبد الله شريط خصال وأفكار، منبر شخصية ومسار، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، سبتمبر 2008، ص 40.

- (56). عبد الله شريط: المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، ص 10.
- (57). عبد الله شريط: معركة المفاهيم، (مقدمة الطبعة الأولى بقلم محمود قاسم)، ص 15.
- (58). المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (59). عبد الله شريط: قصص شعبية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ط 1، 2007، ص 18.
- (*****) "الأخلاق والمجتمع" أو "الثقافة والمجتمع"، برنامج إذاعي يهتم بالمجتمع والثقافة والأخلاق والسياسة، بُثت منه على الإذاعة الوطنية الجزائرية كل مساء ثلاثاء، خلال السبعينيات، ما يقرب من 780 حصة، ثم تحول إلى برنامج تلفزيوني في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، بث من التلفزيون الجزائري، ولم يدم طويلا حتى توقف. كان يدير حوار "عثمان شبوب" بين "عبد الله شريط" ومثقفين آخرين كـ "عبد المجيد مزبان" و "عبد الله ركيبي". [أنظر، زواوي بغورة: حوار مع المفكر الجزائري الدكتور عبد الله شريط في السياسة والتاريخ والفلسفة، ص 17].
- (60). ابن تريعة: ندوة الدكتور عبد الله شريط فكر أصالة أخلاق وتمرد (2010)، مدونة جزييس، الموقع: <https://www.djazairess.com/elmassa/39540>.
- (61). عبد الله شريط: من واقع الثقافة الجزائرية، ص 63.
- (62). المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (63). أحمد منور: شهادة في حق المحتفى به، (مجموعة من الأساتذة)، الأستاذ عبد الله شريط خصال وأفكار. ص 41.
- (64). عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ص 178.
- (65). آمال موهوب: تدريس الفلسفة في الجزائر أمام التحديات المعاصرة، ص 5.
- (66). عبد الله شريط: من واقع الثقافة الجزائرية، ص 83.
- (67). المصدر نفسه، ص 59 . 60.
- (68). المصدر نفسه، ص 45.
- (69). المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (70). المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (71). أنظر، حسام الخطيب: الثقافة والإبداع من زاوية البعد الجماهيري، ص 144-145.